التكرار في رسائل العصر الأموي في كتاب جمهرة رسائل العرب في عصور العربيّة الزاهرة لأحمد زكي صفوت

م.م. محمود محمد علاوي
جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية
alrawym019@gmail.com

أ.م .د سجا جاسم محمد
جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية
Saja77@coart.uobaghdad.edu.iq

(مُلَخَّصُ البَحث)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد.

فالمعروف أنّ النثر تطوّر بشكل عام ، وفنّ الرسائل أو الكتابة بشكل خاص ، وذلك ما أحدثه الدين الإسلامي ونصَّ عليه القرآن الكريم تعلم الكتابة والقراءة كما نقل العرب من الشفاهية إلى الكتابة ، وهذا الشأن رفع من مستوى النثر وأصبح يضاهي نظيره الشعر، بل هناك من جعل النثر أفضل من الشعر، وربط تطور الأمة بالنثر، وأصبح فن الرسائل في العصر الأموي صناعة كبقية الصناعات ، وأصبح جزءاً من أعمال الدولة، وإن الخلفاء يراسلون الأمراء والوزراء وقادة الجيش وغيرهم ، فأصبحت الرسالة تؤدي الدور الأكبر في ذلك الوقت ، فالرسالة هي نصّ مكتوب من المرسِلِ إلى المرسَلِ إليه في شأن ما ، أو هو خطاب للغائب مع بيان ما أراده المرسِل إلى المرسَل إليه ، وانمازت هذه الرسائل بالفصاحة والبراعة ، وصياغة الجمل ، والترابط مع وضوح معاني العبارات.

إنّ سبب اختيار هذه الدراسة أو ما يعزّزها (التكرار في رسائل في العصر الأموي في كتاب جمهرة رسائل العرب في عصور العربيّة الزاهرة) لأحمد زكي صفوت ، هو عدم تعرّض أيّ باحث أو دارس لنصوصها، والوقوف على التراث في ذلك العصر وما تحمله نصوصها من خصائص وإبداع فني للكتاب.

الكلمات المفتاحية: التكرار ،الرسالة ، أحمد زكي صفوت

المبحث الأول : إضاءات حول البحث

أولاً : مفهوم الرسالة

الرسالة لغةً:

لقد اشتقّ لفظ رسالة من المادة اللغويّة (رَسَلَ) التي تدلّ على معاني حسيّة كثيرة أفاضت أمهات المعاجم العربية القديمة عنها ، وهي "القطيع من كلّ شيء" أو

القطيع من الإبل والغنم" أو "الإبل...قطيع بعد قطيع"(الجوهري ، أبو نصر إسماعيل : مادة (رَسَلَ) ، الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو طاهر، ٢٠٠٥: مادة (رَسَلَ)).

وقد تطوّر مفهوم الرسالة من الاستعمال الحسي إلى الاستعمال المعنوي، فقد ذكر ابن منظور: الرسالة من الفعل رَسَلَ، والاسم منه الرِّسالة والرِّسالة والرسول، والإرسال بمعنى التوجيه، تراسل القوم أرسل بعضهم إلى بعض(ابن منظور ، د.ت: مادة (رَسَلَ)).

وقد وردت في القرآن مشتقات هذه الكلمة. منها جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ﴾(سورة يوسف، الآية: ١٩)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾(سورة مريم، الآية: ٨٣) .

وقد تحدّث قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) عن اشتقاق لفظة الرسالة والتراسل بقوله: "الترسل من تراسلت أترسل ترسلاً،...، ولا يقال ذلك إلا لمن كان فعله الرسائل قد تكرر،...، وأرسل يراسل مراسلة فهو مراسل ، وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة، وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يراسله به من بَعُدَ أو غالبَ فاشتق له اسم التراسل والرسالة من بعد ذلك"(ابن جعفر ، قدامة ، ١٩٤١: ١٠٧) .

فإنّ تعريف قدامه بيّن مصطلح الترسل هو مراسلة شخص بعد غياب عنه في مدة زمنية وما يعرف في وقتنا الحاضر بالرسالة.

وعرّفها الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) بأنّها لفظة مشتقّة منها الإرسال، بمعنى التوجيه وبه فسّر إرسال الله عزّ وجلّ أنبياءه (عليهم السلام) أنّه وجّه إليهم أنذروا عبادي، ومنه الاسم (الرسالة) بالكسر والفتح والرسول والرسيل...والرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار بعثه وأيضاً تراسلوا، بمعنى أرسل بعضهم إلى بعض(الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، د.ت : مادة (رَسَلَ) .

الرسالة اصطلاحاً:

الرسالة "قطعة من النثر الفنّي تطول أو تقصر تبعاً لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه ، وقد يتخلّلها الشعر إذا رأى لذلك سبباً، وقد يكون هذا الشعر من نظمه أو ممّا يستشهد به من شعر غيره، وتكون كتاباتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة ومعان طريفة"(عتيق، عبد العزيز، ١٩٧٦ : ٤٤٨) .

وكان الأدباء يطلقون لفظ رسالة على ما ينشئه الكاتب في نسق فني جميل في غرض من الأغراض، ويوجّهه إلى شخص آخر، ويشمل ذلك الجواب والخطاب (ينظر: القيسي، د. فائز عبد النبي، ١٩٨٩: ٧٨). وعرّفه كذلك بأنّه (الخطاب المكتوب في غرض جزئي، يبعث به صاحبه إلى آخر)(الشايب، أحمد، ١٩٩١: ١١٣).

ويمكن القول: إنَّ الرسالة ما هي إلّا التعبير عمّا يدور في ذهن الإنسان ويوجّهه إلى الشخص الآخر. وبحسب موضوع الرسالة كأن تكون سياسيّة، وما يخصّ أمور الدولة من بيعة وانتصار الجيش وغيرها، أو تكون اجتماعيّة تخصّ أمور الأفراد مثل العزاء والتهنئة.. وغيرها.

وقد بيّن قدامة بن جعفر أنّ الرسالة كانت صناعة ومهنة لا يحترفها إلّا من رسخت أقدامه في الأدب، وأن يتحلّى الكاتب بالصدق والنزاهة والإخلاص، ولا يقال ذلك إلا لِمَن يتكرر فعله في الرسائل (جعفر، قدامة، ١٩٤١: ١٠٧).

واتخذ فنّ الرسائل أو "الترسّل" معنى كتابة الإنشاء، قال القلقشندي: "فأمّا كتابة الإنشاء، فالمراد بها كلّ ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام، وترتيب المعاني من المكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات، ومناشير الإقطاعات، والهدن والأمانات والإيمان، وما في معنى ذلك كتابة الحكم وغيرها"(القلقشندي، أحمد بن علي، ١٩٨١ : ٨٤/١) .

وجاء ابن خلدون وأكّد فنّ الرسالة بكونه صناعة ، وأن يتصف الكاتب بأخلاق وصفات معينة . "واعلم أنّ صاحب هذه الخطّة لابدّ أن يتخير أرفع طبقات الناس، وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم وعارضة البلاغة، فإنّه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل، مع ما يضطر إليه في التراسل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها"(الحضرمي ، عبد الرحمن بن محمد ، ١٩٨٤ : ٢٤٧).

ثانياً : نشأة الرسالة وتطورها في المجتمع العربي:

لقد عرفت الرسالة بوصفها فناً نثرياً قديماً، وتطورت منذ نشأتها وقد اختلف حول وجود هذا الفن في العصر الجاهلي فقد انقسم الباحثون إلى قسمين: فالأول يؤكد وجود رسائل في العصر الجاهلي ومنهم د. ناصر الدين الأسد، عندما تتبع موضوعاتها الكتابية وأدواتها في العصر الجاهلي، فيقول: "من يقرأ أخبار الجاهلية في كتب الأدب أو كتب التاريخ يعجب لكثرة رسائلهم آنذاك، ويكاد يلمس أن كتابة

الرسائل في الجاهلية أمر مألوف شائع في شتى الشؤون" (الأسد، ناصر الدين، ١٩٨٨: ٧١) ،وهو يذكر المواثيق والعهود التي كانت تكتب في الجاهلية والأحلاف ومكاتبة الرقيق(الأسد ، ناصر الدين ، ١٩٨٨: ٨)، وهذا ما يؤكده شوقي ضيف أن الجاهليين عرفوا الكتابة ، وكانت لديهم رسائلهم لكنها ليست فنية ، فقال: "ليس بين أيدينا وثائق جاهلية صحيحة تدل على أن الجاهليين عرفوا الرسائل الأدبية وتداولوها، وليس معنى هذا أنهم لم يعرفوا الكتابة، فقد عرفوها غير أن صعوبة وسائلها جعلتهم لا يستعملونها في الأغراض الأدبية الشعرية والنثرية، ومن ثم استعملوها في الأغراض السياسية والتجارية" (ضيف، شوقي، د.ت : ٣٩٨)، ويؤكد د. شوقي ضيف في رأي آخر حين يقول: "وإذا كنا نفقد الأدلة المادية على وجود رسائل أدبية في العصر الجاهلي ، فمن المحقق أنه وجدت عندهم ألوان مختلفة من القصص والأمثال والخطابة وسجع الكهان"(ضيف ، شوقي ، د.ت: ٣٩٩) وجود ألوان أخرى وهذا يدل على وجود الرسائل. وأكد هذا الكلام أنيس المقدسي حين قال: (معرفة العرب للكتابة واستخدامهم إياها في مرافق حياتهم) (المقدسي، أنيس، ١٩٦٠ :٢٢)، أو ربما أن ألوان أخرى فراجع إلى طبيعة العصر، فقد كانوا شغوفين ومحبين في عرض فروسيتهم وشجاعتهم، مما يجعلون أكثر أوقاتهم في السهر حول خيامهم (ضيف، د.شوقي، د.ت: ١٥).

وأكد زكي مبارك على وجود رسائل في العصر الجاهلي بأرقّ صور. فقال: "وخلاصة ما أراه أنه كان للعرب قبل الإسلام نثر فني يتناسب مع صفاء أذهانهم، وسلامة طباعهم، ولكنه ضاع الأسباب أهمها شيوع الأمية، وقلة التدوين، وبعد ذلك النثر عن الحياة الجديدة التي جاء بها الإسلام ودونها القران" (صفوت، أحمد زكي، ١٩٣٧: ٣٦) . وهذا جعل مبارك يؤكد أن القرآن كتب بالمعجزة ولكن على طريقة النثر. وإلى مثل هذا الرأي ذهب حسين نصار حين قال إن التجارة كانت العامل الأول في ذلك الوقت مما يحتاج إلى الكتابة، فيعرف عن طريقها الأرباح، وكما يحتاجون هؤلاء التجار للكتابة في العهود وكتب الأمان بينهم وبين القبائل التي تمر بها تجاراتهم أو السياسة(نصار، حسين، ١٩٦٦: ٢٠).

وأكد أحمد زكي صفوت حين جمع رسائل العرب في الجاهلية وجد رسائل جاهلية قليلة بلغت اثنتي عشرة رسالة ، ومنها:(كتاب المنذر الأكبر إلى أنوشروان، وكتاب عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين صحيفة الملتمس،...)(صفوت، أحمد زكي، ١٩٣٧: ١/ ٩-١٢). وكان هناك كتاب في ذلك العصر من أهل البادية: أكثم بن صيفي حكيم تميم وخطيبها، وابن أخيه حنظلة بن ربيعة كاتب النبي (ﷺ)

والمرقش الأكبر ولبيد بن ربيعة(نصار، حسين، ١٩٦٦: ٢٣-٢٤)، وكانوا يكتبون على الحجارة البيض والعزام وفي عُسبُ النخل وفي الجلد والأديم (ضيف، د. شوقي، د.ت ١٣٥)، ووجد التدوين وكانت الكتابة موجودة ومعروفة في العصر الجاهلي(الجندي ، علي، ١٩٩١: ١١٣) و يقول المرقش الأكبر:

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلمْ

(الضبي ،المفضل بن محمد ، د.ت: ١/٢٣٤)

ثم جاء فريق آخر ينكرون وجود رسائل في العصر الجاهلي ، وعلى رأسهم طه حسين يقول: "والواقع إننا لا نستطيع بحال من الأحوال -مهما أن نكون من أنصار العصر الجاهلي وعشاقه- أن نطمئن إلى أن هذا العصر كان له نثر فني"(حسين، طه، ١٩٦٠: ٢٤-٢٥).

إن هذا الرأي ليس دقيقاً والمعروف أنَّ طه حسين في نظريته الشك التي رفض فيها الأدب العربي جملةً وتفصيلاً فكيف يؤخذ برأيهِ ، ثم يناقض نفسه حين قال: " فالعصر الجاهلي لم يكن له نثر بالمعنى الذي حددته، ومع ذلك فقد كان له نثر خاص، لم يصل إلينا لضعف الذاكرة، وخلوه من الوزن"(حسين ، طه ، ١٩٦٠:٢٥).

وخلاصة القول : إن الرسائل وجدت في العصر الجاهلي ولكن بشيء محدود بالرسائل السياسية ، و ورسائل التجارة ، وذلك لصعوبة متطلباتها في ذلك الوقت ؛ لأن اعتمادهم على الشعر كان لسهولة حفظهِ وأكبر دليل على ذلك وجود الكتابة الجاهلية بين العرب، منها الكتب التي كان يرسلها النبي (ﷺ) إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام ، فضلا عن ذلك كُتّاب الوحي الذين كان يأمرهم بكتابة آي القرآن الكريم عند نزول الوحي، ولكنها نسبة قليلة قد تصل إلى حد الندرة(الجندي ، علي ،١٩٩١ : ١٤٠) .

وقد أجمعت كل المصادر التاريخية على أن فن الرسائل نشأ وازدهر في العصر الإسلامي، منذ نزول أول سورة في القرآن الكريم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(سورة العلق ، الآية: ١)فالآية الكريمة تدعو إلى القراءة والكتابة ومن هنا أصبح للكتابة اهتمام كبير ،إذ استعملها الرسول (ﷺ) في جميع مواثيقه وعهوده (ضيف، د.شوقي ، د.ت : ١٣٠).

ولقد ارتبطت الكتابة في هذا العصر بتوافر شروط عدة ساعدت على نشوئها واستمرارها وازدهارها، وفي مقدمتها : وجود أدوات الكتابة كالقلم ، والصحف ،

والألـواح والقـراطيس وغيرهـا (الاسـداوي، د. عبـد المجيـد ، ١٤٢٧: ٢٥٥). وقـال تعـالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (سورة القلم ، الآيـة : ١) ولا يخفـى علـى أحـد أن بـزوغ الإسـلام أو الدولـة العربيـة تسـتلزم مـن الـدول وجـود علاقـات وروابـط داخليـة وخارجيـة، لا يمكـن التعبيـر عنهـا والاتفـاق عليهـا إلا بالمراسـلات، وهـذا مـا جعـل الرسـول (ﷺ) ينشـئ نظامـاً مـن المراسـلات الداخليـة والخارجيـة(نصـار ، حسـين، ١٩٦٦ : ٣٢ ، الصـفار ، ابتسـام مرهـون ، ٢٠١١: ٣٢٠). وممـا يؤكـد الاهتمـام فـي صـدر الإسـلام أن الرسـول (ﷺ) جعـل مـن يعـرف الكتابـة والقـراءة يعلـم مـن لا يعرفهـا مقابـل إطـلاق سـراحه فـي أسـرى قـريش ،فضـلا عـن ذلـك الاسـتعانة بهـم فـي كتابـة مـا ينـزل عليـه مـن الـوحي ، وكـان مـنهم الإمـام علي(عليـه السـلام)، وعثمـان بـن عفـان (رضـي الله عنـه)، وغيـرهم. (الاسـداوي، د. عبـد المجيـد ، ١٤٢٧ : ٢٥٦-٢٥٧)

أمـا الخصـائص العامـة للرسـائل فـي العصـر الإسـلامي فهـي البسـاطة الوضـوح التـي تنـزل بهـا إلـى مسـتوى لغـة التخاطـب الفصـيحة لـدى العـرب فـي ذلـك الـزمن ، والتـي لا تخـرج بهـا عـن مسـتوى لغـة الحـديث الاعتيـادي حتـى يفهـم المرسَـل إليـه مضـمونها، فضـلا عمـا اتصـفت بـه مـن إيجـاز وبسـاطة وخلـو الألفـاظ مـن الصـناعة اللفظية (نصار، حسين ، ١٩٦٦ : ٤١).

أمـا الكتابـة فـي عهـد الراشـدين فلـم تتغيـر كثيـراً عمـا كانـت عليـه فـي زمـن النبـي محمد (ﷺ) والأسـلوب نفسـه ولكـن الجديـد هـو كثـرة الحـروب فـي شـبه الجزيـرة العربيـة بـين المسـلمين والمرتـدين فـي خلافـة أبـي بكـر (رضي الله عنه) ممـا جعلهـم يكثـرون مـن الكتابـة فـي شـأن هـذه الحـروب مـن وصـايا للقـواد والمعاهـدات وغيرها(نصـار، حسـين ، ١٩٦٦ :٤٨ -٤٩). وإن الكتابـة أصـبحت جـزءاً أساسـياً فـي أعمـال الدولـة فـي عهـد عمـر بـن الخطـاب (رضي الله عنه) حتـى أصـبحت تتضـمن كـل تعاليمهـا وكـل مـا رسـمته للمسـلمين وأهـل الذمـة والعلاقـات السياسـية والاقتصـادية(ضـيف ، د. شـوقي ، العصـر الإسـلامي ، د.ت : ١٣٤)، وقـد كثـرت الـدواوين فـي زمـن عمـر بـن الخطـاب (رضي الله عنه) ، إذ احتـاج إليهـا المسـلمون عنـد فـتح الأقطـار وتـدفقت الأمـوال والحسـبة وغيرهـا -فأنشـأوا ديـوان الخـراج وغيرهـا(نصـار ، حسـين : ٥٢٠٥٣)، أمَّـا خصـائص الرسـائل فـي هـذا العصـر فهـي الإيجـاز والإطنـاب ، وكـذلك يتخلـل الاقتبـاس والتضـمين في رسائلهم (نصار ، حسين ، ١٩٦٦ : ٦٠) .

أما في العصر الأموي، فقد اتسعت الفتوحات وتفرق الولاة والعمال في الأقطار، وأصبحت الدولة بحاجة إلى تبليغ الولاة والعمال أموراً كثيرة تتعلق بالسياسة أو الإدارة. فوجبت الرسائل(فروخ ، عمر ، ١٩٨١ : ٣٧٤/١).

وأخذت الرسائل أو الكتابة بالتطور الواسع في هذا العصر، فنجد فن الرسائل أو ديوان الرسائل ظهر في زمن عبد الملك بن مروان، فأصبح للرسالة ديوان خاص بها(نصار ، حسين : ٦٧). فضلاً عن ذلك فقد ألفوا كتباً كثيرة، بعضها دينية خالصة، وما يتصل بمسائل الفقه التشريعية وغيرها (ضيف، د. شوقي، د.ت:١٠٠).

إنَّ هذا التَّطور في الرسائِل الرَّسمية أو الدِّيوانية، كان راجعاً لأسباب ومنها: ظهور كتّاب في هذا العصر في ديوان الرسائل مما جعلوا الرسائل في مضمونها العام يسيراً، ومن هؤلاءِ الكتاب عبد الحميد الكاتب الَّذي يلاحظ على رسائله التَّطول مع الأسلوب الجزل والألفاظ السهلة، وتميز في رسائله في التحميدات بأسلوبها البسيط البعيد عن العامية(صفوت ، أحمد زكي ، ١٩٣٧ : ٢/ ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١) فضلًا عن ذلك كان لهؤلاء الكتاب حلقة ذات ثقافة أجنبية أثرت في الكتابة تأثيراً جميلاً اتخذت على أيديهم صوراً بسيطة جميلة من هذا الفن (نصار، حسين، ١٩٦٦: ٧٧). فنجد التطول في رسائل العصر الأموي مع تنوع الأساليب فيها، وكان عبد الحميد الكاتب أول من أطال في الرسائل(القيسي، د. فائز عبد النبي، ١٩٨٩: ٩١)، مع التقابل في الجمل ، ومن ذلك رسالته إلى أخيه في التهنئة بالمولود الجديد، وقد جعل فيها أساليب مختلفة مع صياغة الجمل ، واختيار الألفاظ البسيطة حتى يفهمها المخاطَب، ولديه رسالة قد بلغ طولها "تسعاً وأربعين" صفحة، وهذا الشيء لم نجده قبل عبد الحميد الكاتب وهي عن مروان بن محمد إلى ابنه عبد الله بن مروان حين وجهه لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني. وغيرها من الرسائل.

أمَّا خصائص الرسائل في العصر الأموي ، فتتسم بالبساطة ، والبعد عن التعقيد، والإيجاز في القول ، والقصد في التعبير والابتعاد عن المحسنات البديعية إلا ما جاء فيها عفو الخاطر من دون تكلف (القيسي، د. فائز عبد النبي، ١٩٨٩: ٩٠)، واتسمت اللغة التي استعملها الكتاب بأنّها لغة مهذّبة شاع فيها الاقتباس والتضمين والشعر، ويكون أسلوبها بسيطاً يفهمه المخاطب أو اللغة المباشرة، وأمّا ما يخصّ الرسائل من حيث الطول والقصر، فنلحظ أنّ الرسائل في بداية العصر الأموي كانت تتماز بالإيجاز، ولكن في نهاية العصر بدأت الرسائل

تأخذ شيئاً من الإطناب حتى نجد بعض الرسائل بلغ عدد صفحاتها نحو تسع وأربعين صفحة، وهذا ما وجدناه عند الكاتب عبد الحميد الكاتب ، وهو أحد الكتّاب البارزين الذي استعمل الأسلوب الجميل مع التنوع في العبارات والأساليب حتّى لا يملّ القارئ. فضلًا عمّا تميّزت به الرسائل في الابتعاد عن اللغة التقريريّة المباشرة في العصر الإسلامي (نصار، حسين، ١٩٦٦ :٤١)، وهذا يعني أنّ الرسائل في العصر الأموي أصبحت تهدف إلى التحسين والتجميل، وأنّ ذلك لم يخرج إلى مرتبة التكلف (نصار، حسين، ١٩٦٦ :٧٧)، وإن وجد البديع فهو عفو الخاطر غير مقصود.

أمّا ما يخصّ المضمون فإنّ الكُتّاب استعملوا في رسائلهم الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وتضمين الأمثال العربية. أمّا الأسلوب والبناء فقد كان على طريقة العصر الإسلامي، فكانت تختلف الرسائل بحسب المرسَل إليه، فكانت الرسائل في العصر الإسلامي تبدأ بالبسملة، ثم يأتي بعدها "من محمد رسول الله إلى فلان" أو تبدأ باسمه مباشرةً "هذا كتاب من محمد رسول الله إلى فلان" أو يذكر المرسَل إليه فقط ، سواء أكان مسلماً أو غير مسلم ، أو يختم الرسالة بالسلام أو بالسلام والدعاء، أمّا ما يخصّ الكتب التي كانت ترسل إليه فتبدأ "لمحمد رسول الله من فلان" إذا كان من المسلمين ، وأما إذا كان من المشركين فتبدأ "باسمك اللهم"(نصار ، حسين ، ١٩٦٦ : ٣٩-٤٠) .

إن هذا البناء وجد في العصر الأموي ، فبعض الرسائل تبدأ بالبسملة ثم التحميد ثم الصلاة على النبي ثم الموضوع أو المضمون والخاتمة، ويتحدث الباحث عن البناء في وقت لاحق بالتفصيل.

ثالثاً: التعريف بالمؤلف:

ولد أحمد زكي صفوت في مدينة دمياط وتوفي في القاهرة، عاش في مصر، تخرج في مدرسة دار العلوم (١٩١٤م). وعمل في التدريس في عدد من المدارس، منها: مدرسة الأمير فاروق الثانوية، ثم مدرسة دار العلوم (١٩٢٩م) التي تحولت إلى كلية وانضمت إلى جامعة فؤاد الأول جامعة القاهرة ، إذ رقي إلى درجة أستاذ مساعد (١٩٤٧م). وإلى درجة أستاذ (١٩٥٠م) واختير وكيلاً لدار العلوم (١٩٥٢م) وظل في عمله حتى إحالته إلى التقاعد. ولديه مؤلفات منها: الإنتاج الشعري، والكامل في النحو والصرف في أربعة أجزاء ١٩٢٩م، وتاريخ الجدل والمناظرات ١٩٣٢م، وتاريخ الخطاب في الجاهلية والإسلام ١٩٣٢م، وترجمة علي بن أبي طالب ١٩٣٣م ، وجمهرة خطب العرب في أربعة أجزاء ١٩٣٣-١٩٣٤م ،

وعلم البيان ١٩٣٧م ، وشرح وتحقيق الجزء الثاني عر من كتاب الأغاني للأصفهاني ١٩٥٠م ، وغيرها . (ويكيبيديا (www.ektab.com))

ثالثاً : التعريف بالكتاب

يعدُ كتاب "جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة" لأحمد زكي صفوت من أهم المصادر التي جمعت الرسائل في العصر الأموي والعصور الأخرى، وإن هذا الكتاب يقع في أربعة أجزاء "فتناول الجزء الأول الرسائل في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، أما الجزء الثاني فهو الرسائل في العصر الأموي، والجزء الثالث ضم الرسائل في العصر العباسي الأول ، وجاء في الجزء الرابع والأخير رسائل الأندلسيين"(صفوت ، أحمد زكي، ١٩٣٧:١/٣).

تناول المؤلف في الجزء الثاني رسائل العصر الأموي، التي دارت بين خلفاء بني أمية، منذ زمن معاوية بن أبي سفيان إلى آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد الملقب بالحمار.

ونلحظ أن عدد الرسائل في هذا الجزء بلغ "٥٣٣" رسالة ، وقد قسمتها بحسب الموضوعات، ومنها: الرسائل السياسية بلغ عددها "٣٣٩" رسالة اشتملت موضوعاتها على البيعة ، والتهديد والوعيد ، والعهود وغيرها من الموضوعات التي تخص الموضوعات السياسية، ونلحظ أن الرسائل السياسية شغلت مساحة واسعة في هذا العصر ، وربما يرجع ذلك إلى أسباب كثيرة ، منها: تطور الأحداث السياسية في هذا العصر ، وظهور عدد من الأحزاب السياسية ذات الميول المختلفة ، فضلا عن الصراعات القبلية وكثرة الحروب ، مما جعل الرسائل تصبح أداة بين الخلفاء وقائد الجيش في المعركة وما يحدث من انتصارات أو هزيمة فتنقل عن طريق الرسائل.

أما الرسائل الاجتماعية فبلغ عددها "٨٠" رسالة اشتملت على التهنئة ، والتعزية والاعتذار ، والعتاب وغيرها من الموضوعات . أما الرسائل الدينية والوعظية فبلغ عددها "٦٧" رسالة اختصت بأمور الدين، وهناك رسائل اشتملت على موضوعات مختلفة بلغ عددها "٣٨" رسالة.

نلحظ أن تسع رسائل لم يذكرها الباحث لأنها وردت بصورة أخرى للكتاب ، مما جعل الباحث يأخذ إحدى الصورتين، ونلحظ أن الكتّاب في ذلك العصر بلغ عددهم "١١٢" كاتباً فضلا عن وجود ثلاث فرق، وهي : كتّاب بني أمية، وكتّاب أهل الكوفة ، والكتاب المرفضين من الجند، فأصبح العدد الكلي للكُتاب "١١٥" كاتباً.

رابعاً : منهج المؤلف في الكتاب

١. اعتمد المؤلف في التوثيق على مجموعة من المصادر منها: كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري ، والبيان والتبيين، وسير ابن الجوزي، والأغاني، والعقد الفريد، والكامل، ونهج البلاغة، ومعجم البلدان، والإمامة والسياسة، والأمالي، واختيار المنظوم والمنثور، ومقدمة ابن خلدون وغيرها من المصادر الموثوقة التي يعتمدها أي باحث أو مؤلف، وبيان بعض المفردات الغريبة التي كانت في العصر آنذاك .

٢. اعتمد على الترتيب الزمني التاريخي ابتداءً من معاوية إلى آخر الخلفاء.

٣. لم يذكر السنة التي كتبت فيها الرسائل إلا ما ندر فقد يذكر (الرسالة كتبت من فلان إلى فلان).

٤. احتوى الكتاب على مقدمة بدأها بالصلاة على النبي (ﷺ) ثم بين المصادر التي أخذ منها.

٥. قام بفهرس الرسائل والأسماء ، وهذا يتطلب جهداً كبيراً.

٦. وردت في بعض الرسائل المفردات الغريبة .

٧. استعمل المؤلف اللفظتين (الرسالة) و(الكتاب) ، إذ يلاحظ إن لفظة الكتاب جاءت مرادفة للفظة الرسالة إلا أن مصطلح الرسالة وجد قليلاً حد الندرة ، فقد ورد (٨) مرات فقط ، أما لفظة الكتاب ، فقد وردت (٥٢٥) مرة ، وهذا يفسر عدم ظهور مختصين بفن (الرسالة) قبل عبد الحميد ، فهو أول من استعمل هذه اللفظة في رسائله .

المبحث الثاني : التكرار

يعد التكرار ظاهرة أسلوبية تدخل في الموسيقى الداخلية، والتي تعد من ركائز الانسجام الصوتي في داخل البنية الإيقاعية، ويعطي تأكيداً للكلام والدلالة على المطلوب.

لغةً: مشتقه من (كرَّر) إذا رد وعاد ، فيقال كرَّر الشيء تكريراً ، إذا عاد مرة بعد أخرى(ابن منظور : مادة (كرر) .

أما الزمخشري فيذكر صيغة أخرى للفعل كرَّ ، إذ يقول: " كرر انهزم عنه ثم كرّ عليه كروراً... وكررت عليه الحديث كرّاً، وكررت عليه تكراراً، وكرر على سمعه كذا وتكرَّر عليه "(الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، ١٩٩٨: مادة (كرر).

اصطلاحاً: نجد مفهومه الاصطلاحي يقترب من المفهوم اللغوي: "تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره ونثره "(هلال، د. ماهر مهدي، ١٩٨٠ : ٢٣٩)

إن التكرار يرتبط بالحالة الشعورية للمبدع، فهو يلجأ إليه للتركيز على أمر ما، فيأخذ في نفسه ويلح عليه، فيكرره لجذب انتباه المتلقي(كشكول، عادل : ٣٣). وقد عرفه الشريف الجرجاني (ت ٦١٦ هـ): " وهو عبارة عن الإثبات بشيء مرة بعد أخرى "(الجرجاني ، علي بن محمد ، ١٤٠٥ : ٩٠).

أما ابن الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) فيقول: " وهو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد "(العدواني، عبد العظيم بن الواحد ، د.ت : ٣٧٥)، وكأنه يحصر التكرار في قسم واحد وهو التكرار باللفظ، مادام أشار إلى الغاية منه هي المدح، والذم، والوصف، والتهويل، إلا أن ابن الناظم (ت٦٨٦هـ) يرى التكرار في " إعادة اللفظ لتقرير معناه، ويستحسن في مقام نفي الشك "(ابن الناظم ، أبو عبد الله بدر الدين بن مالك ، ٢٠٠١: ٢٣٥). ونجد السيوطي (ت٩١١هـ) قد ربط التكرار بمحاسن الفصاحة، كونه مرتبطاً بالأسلوب، وهذا ما ورد في كتاب (الإتقان) بقوله: " هو أبلغ من التوكيد، وهو من محاسن الفصاحة "(السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، ١٩٧٤: ٢٢٤/٣).

ولهذا فإن الأديب دائما يسعى إلى اختيار الألفاظ المنسجمة مع بعضها، فيعمد إلى تكرارها ليكون موسيقا ونغما يعطي النص عذوبة وقوة فيجذب انتباه المتلقي. "فالتكرار في النص يكشف نقاطا مهمة تستحوذ على نفسية المبدع ، فضلا عن أنه يسهم في تلاحم بناء النص وترابطه، وتقوية النغم الموسيقي "(ضاحي، كوثر فريح، ٢٠١٦: ٦٤).

أما غاية التكرار فهي تقوية النغم وتقوية المعاني الصوتية وتقوية المعاني التفصيلية (عمران، عبد نور داود، ٢٠٠٨: ٢٤٧).

وفي ضوء ما تقدم وجدنا كتّاب الرسائل الأموية وضعوا هذه الظاهرة الأسلوبية في رسائلهم، واستعملوها لشد انتباه المتلقي، مع تركيزهم على الموضوع الذي كتبت من أجله الرسالة. وقد جاء التكرار على النحو الآتي :

أولاً: التكرار الحرفي

قد تتولى بعض الحروف لتعطي نسقاً موسيقيا داخل النص الأدبي، حتى يسنجم مع سياق المعنى والدلالة، ويمثل التوازن الصوتي "ومما لا شك فيه أن تكرار الحرف في الكلمة والجملة والعبارة يشكل إيقاعاً صوتياً وتتناغم فيه الأصوات، فيجذب الانتباه ويركز على معنى يوحي به، فيزيد من التنغيمات الإيقاعية والجمالية في النص الأدبي" (ضاحي، كوثر فريح ، ٢٠١٦: ٦٥)، وقد

يكون التكرار بحرف أو بحرفين أو ثلاثة حروف بنسب متفاوته في الجملة الشعرية، وأن هذا التنوع الصوتي يخرج القول عن نمطية الوزن المألوف ليحدث فيه إيقاعاً خاصاً يؤكد التكرار (عياشي ، منذر ، ٢٠١٥ : ٧١).

فإن تكرار الحروف في النص يشكل الإيقاع الموسيقي داخله في سبيل جذب انتباه المتلقي، وقد استعمل الكتّاب في العصر الأموي هذا التكرار الحرفي بحسب سياق الكلام وما يحمله من حروف، وسنقتضي بعض الشواهد على التكرار بالحرف، منها ما كتبه حبيب بن مسلمة لأهل تفليس بالعهد والأمان: ...، بالأمان على أنفسكم وأموالكم وصوامعكم وبيعكم وصلواتكم على الإقرار بصغار الجزية،... " (صفوت، أحمد زكي، ١٩٣٧: ٢/٤٤-٤٥).

فأراد الكاتب في هذا النص أن يعهد لهم بالأمان والحفظ من كل شر، وكأنّها مدينته، فهو يؤكد نفسه بهذا العهد حتى يطمئن أهلها. وليحيق أسلوب الرقة واللين، لأنهم أصبحوا منه، وعليهم ما عليه ولهم ماله ثم عليهم إعطاء الزكاة فلم تؤخذ منهم الجزية، لذا نلاحظ صوت (الميم) قد تكرر ثماني مرات، على نحو واضح، وهيمنته على بقية الأصوات، وهو صوت مجهور متوسط بين الشدة الرخاء (الزيدي، كاصد ياسر، ١٩٧٨ : ٤٥٧، وأنيس، إبراهيم، د.ت: ٤٨)، وهذا الصوت ناسب الخطاب في النص ، ومما أعطى موسيقى مؤثرة في المتلقي، و كرر صوت (اللام) خمس مرات، وهو من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاء (أنيس، إبراهيم، د.ت : ٥٥) ، وكرر صوت (الكاف) خمس مرات في النص وهذا الصوت عكس جانبا مهماً في الإيقاع العام كونه صوتاً شديداً انفجارياً (ضامن، د. حاتم صالح، ١٩٩٠ : ١٥٠)، وإن اجتماع هذه الأصوات في النص أكد غاية الكاتب، وجاء بأصوات الصفير، الصاد ذات التردد العالي الذي أضفى قوة على تعزيز الدلالة الصوتية وأحدث هذا الصوت نبرة عالية ليدل على الكلام الذي التزم به لحفظهم وكذلك صوت السين...، وإن هذه التكرارات في الأصوات داخل النص يؤدي إلى شيوع الجرس الموسيقي، وأعطى ما يحتاجه السياق والمعنى ، واهتزت له نفس المتلقي، وتبع ذلك التكرار مجئ الأسماء المجرورة (بالأمان، بصغار) وقد أراد بها وصفا لتأكيد ما قاله .

وجاء في كتاب آخر كتبه سعد بن حذيفة، رداً على سليمان بن صرد، قال فيه: "...، نحن جادون مجدون، معدون مسرجون ملجمون،..." (صفوت أحمد زكي، ١٩٣٧ ٢/١٠٥).لقد أسهم الأداء اللغوي في كشف الإيقاع عبر تكرار بعض الدوال الصوتية ، فكرر صوت (النون) سبع مرات في النص، وهو صوت

بين الشدة والرخاء (أنيس ، إبراهيم ، د.ت : ٥٨)، وتكرر صوت الميم خمس مرات، وقد تميز صوت (النون والميم) بوضوحهما السمعي، إذ تفاعلت هذه الأصوات مع الحالة الشعورية لدى الكاتب، فبين الفرحة عندما سمع هذا الخبر، فهذه الأصوات أدت الكثافة الصوتية، فضلاً عن أصوات أخرى (الواو) ، و(الجيم)، و(الدال) ، وإن هذا التنوع الصوتي يعطي موسيقى تجذب انتباه السامع، بالتعاون مع الظواهر الصوتية الأخرى من جناسبين (مجدون، ومعدون) ، وبين(جادون، ومجدون)، وسجع ورد في كل فقرة .

من ذلك كتاب ابن الأشعث إلى الحجاج : " ... ويجاهدون في سبيله ، ويتورَّعون لِذكْره ، ولا يَسْفِكون دَماً حرامًا ، ولا يعطِّلون لِلرَّب أحكامًا ، ولا يَدْرُسون له أعلاما ولا يتنكَّبُون النَّهْجَ ، ولا يُبْرِمُون السَّيءَ ، ولا يسارعون في الغَيّ ، ولا يُدَلِّلُون الفَجَرةَ ، ولا يتراضَوْنَ الجوَرَةَ ، بل يتمكنَّون عند الاشتباه ، ويتراجعون عند الإساءة ..." (صفوت ، أحمد زكي ، ١٩٣٧م ، ١٩٢/٢) ، فنجد القائل يكرر (لا) ثماني مرات مع تكرار حرف العطف (الواو) ثماني مرات ليؤكد للمتلقي غرضه في إثبات صفات الحكّام الذين يحكمون بعدل الله ، فلا يصدر منهم إلا ما أمر الله به ، فلا يحيدون عن طريق الحق في حكمهم للرعية ، فجاء التكرار مناسبًا لحالة المرسَل إليه مع رعيته وقربه منهم واحتكاكه بهم ، فضلًا عمّا أضافه التكرار من نغم إيقاعي موسيقي في النص.

ونقف عند كتاب الوليد إلى الأمصار بالبيعة لابنيه الحكم وعثمان من بعده بقوله : " ...فتتابعَ خلفاءَ الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه ، واستخلفهم عليه منه ، لا يتعرَّض لحقهم أحد إلا صَرَعَهَ الله ، ولا يفارِقُ جماعتَهم أحدُ إلا أهلكه اللهُ ، ولا يستخِفُّ بولايتهم ويتَّهم قضاء الله فيهم أحد إلا أمكنهمُ الله منه، وسلَّطهم عليه ..." (صفوت ، أحمد زكي ، ١٩٣٧م ، ٣٨٥/٢)، فنجد القائل يكرر في رسالته (لا) ثلاث مرات ، مرة وحدها ، ومرتين مع تكرار حرف العطف (الواو)، ثم يكرر (إلا) ثلاث مرات ، فهذا التكرار المتتابع في النص أحدث نغمة موسيقية تشد أسماع المتلقي للنص ، فضلًا عن تحقيق الغرض في إثبات المعنى المراد، والغاية في تثبيت قدرة الله تعالى في مؤازرة ومناصرة خلفائه الذين استخلفهم على ما أورثه لأنبيائه، فضلا عن تثبيت نفي ما يتعرضون إليه من فعل سيء من البعض من تعرض لحقهم، أو تفريق لجماعتهم، أو استخفاف بولايتهم ، فالمعنى تحقق لدى المتلقي بتقنية التكرار.

ثانياً: تكرار الكلمة " اللفظة "

ويقصد بها التركيز على لفظة معينة، وذلك بتكرارها في سياق النص أكثر من مرة، إما للتوكيد، أو زيادة التنبيه ، أو التهويل و أو التعظيم ، أو التلذذ بذكر المكرر (معصوم، علي صدر الدين : ٥/٣٤-٣٥)، وهذا ما أطلق عليه اسم التكرار البسيط (الملائكة، نازك، د.ت : ٢٦٤). إن تكرار الكلمة لا يكون اعتباطا لملء الحشو، وإنما لغاية دلالية في نفس الكاتب أو الأديب ؛ "لان الشاعر بتكرار بعض الكلمات يعيد صياغة بعض الصور من جهة، كما يستطيع أن يكثف الدلالة الإيحائية للنص من جهة أخرى" (عياشي ، د. منذر ، ٢٠١٥: ٧٣).

إن تكرار الألفاظ عند كتّاب الرسائل تسهم في إيصال ما أراد الكاتب إيصاله إلى المتلقي عن طريق تكرار اللفظة لتأكيدها، وقد تكون الكلمة أو اللفظة المكررة اسماً، أو فعلاً ، أو حرفاً، ...، فإن للتكرار في الجملة أو النص قيمة صوتية عاليه ؛ لأنه يتصل " بالإطار الصوتي الذي يمثل الوحدة الدلالية ، وفي اللفظ تبدأ عملية التفاعل بين الدلالة اللغوية والدلالة السياقية" (الطرابلسي ، محمد الهادي ، ١٩٨٠:٧٣).

وقد استعمل كتّاب الرسائل في العصر الأموي هذا النوع من التكرار ، وأكثروا في كلامهم منه ؛ وذلك لتوكيد كلامهم ، أو للتهويل ، أو للتنبيه ، ولاسيما عندما يكرر الخليفة ، فيعد بمنزلة الأمر للمرسَل إليه، لأن تكرار اللفظة في النص له أثره في المتلقي ؛ لأنها تكشف عما في داخل الكاتب ، فيحاول إظهاره عن طريق التكرار. ومن بين تلك الشواهد ما كتبه معاوية بن أبي سفيان إلى الحسن بن علي (عليه السلام):

" أما بعد: فقد فهمت ما ذكرت به رسول الله – ﷺ – وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله، ذكرت تنازع المسلمين الأمر بعده، ...، فكرهت لك ذلك أن الأمة لما تنازعت الأمر بينها رأت قريشا أخلقها به، فرات قريش والأنصار، ..." (صفوت، أحمد زكي: ٢/١٣).

فنجد الكاتب كرر الفعل (ذكرت) مرتين، (وتنازع) مرتين و(رأت قريش) مرتين، فإنّ التكرار أعطى جرساً مؤثراً في المتلقي، وهو توكيد المراد في كلامه، فإنّ الأمة تختار من كان ذا فضيلة وعلم أن يكون أميرها، كما أشار إلى الحادثة نفسها بعده وفاة الرسول (ﷺ) فاختلفت الأمة في أميرهم الأنصار وقريش، ثم كان الاختيار على أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بعده خليفة المسلمين، وهذا ما أراد معاوية أن يبينه للحسن (عليه السلام) بأنّ الأمة لم تختارك بعد أبيك بل وقع الاختيار لي أن

أكون خليفة للمسلمين لأنك لم تكن كأبيك وساند ظاهرة التكرار ظاهرة صوتية أخرى في النص بين (الأولين، والآخرين) فذكر صفة الرسول محمد (صلى الله وعليه وسلم) أفضل الأنبياء الذين سبقوه ولم يأتِ بعدهم ذو فضل.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى أخيه بشر بن مروان عندما ولّاه على البصرة، فكتب إليه:

" أما بعد: فابعث المهلب في أهل مصره إلى الأزارقة لينتخب من أهل مصرة وجوههم وفرسانهم وابعث من أهل الكوفة بعث كثيفا، وابعث عليهم رجلاً معروفا شريفاً،..." (صفوت، أحمد زكي ، ١٩٣٧: ١٣٥/٢). فإن التكرار جاء في الفعل " ابعث " ثلاث مرات، وذلك لمّا فيه من أهمية وتأثير لإيصال المعنى إلى أخيه مع التأكيد لأن المرتكز الأساسي للنص ، وهذا الفعل جاء بصيغه (الأمر) فإن أمير المؤمنين يأمر بأن يقاتل المهلب الخوارج ، فأصبح القتال واجباً على قائد الجيش ، وهذا الفعل أعطى دلالات نفسية اتجاه الخليفة من الاضطرابات الداخلية وماتكون عليه الدولة من حالة ضعف عند وجود الخوارج، وكرر" أهل مصر" فهو إعطاء الإباحة في اختيار الجنود والقادة الشجعان، وإن هذا التكرار قد أعطى هذا النص موسيقى تظل تترنم في نفس المتلقي، وما يؤكده التكرار في وظيفته الأسلوبية في كونه "يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالات نفسية قيمة"(الملائكة ، نازك : ٢٧٦) .

وكتب الحجاج بن يوسف إلى المهلب:"...، فإني قاتل من أجلي من كان عندي من ولّي من هرب عنك فاعلمني مكانه' فإني أرى أن آخذ الوالي بالوالي والسمي بالسمي " (صفوت ، أحمد زكي ، ١٩٣٧: ١٤٥/٢).فجاء التكرار بوصفه قيمة دلالية يتم عبر الأسماء فهو تكرار بالاسم " الوالي بالوالي" و"السمى بالسمى" أراد أن يؤكد أن يأخذ ثأره من القتلة الذين هم شاركوا في القتال ولا يظلم أحد، فهو جعل القتل بالمكانة نفسها ، فالجندي يقتل مقابله جندياً ، والقائد كذلك، وهذا التكرار يشير به إلى قوله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾(سورة المائدة، الآية: ٤٥)، فضلاً عن التكرار بحروف الجر التي تكررت أربع مرات من دون أن يشعر القارئ بها في النص، ووزعت بطريقة رشيقة شفافة، وفي هذا يحمل قدرة فنية عالية يمتلكها الكاتب.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن عبد الله بن عتبه يعزيه في أبيه: "أما بعد: فإنا قوم من أهل الآخرة سكنا الدنيا أموات أبناء أموات، فالعجب كل العجب

لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت، والسلام" (صفوت، أحمد زكي، ١٩٣٧: ٣٠٥/٢).

لقد جاء التكرار بالاسم، فجاء بلفظة "أموات ومشتقاتها" في النص خمس مرات، بشكل أفقي ليعطي إيحاءً واضحاً، فأراد أن يهون المصيبة على صاحبه، فهو يذكره بأن كل إنسان مصيره الموت، ولوحظكيف هون الكاتب أو المرسِل المصيبة بأسلوب جميل مقنع، وقد اشتمل التكرار على قيمة إيقاعية دلالية في آن واحد ، فضلاً عما يحمله من ظواهر صوتية أخرى كالطباق كلها جاءت لتوكيد المعنى المقصود. ما يحمله النص من الطباق بين (الدنيا- والآخرة)، وكرر (العجب) مرتين.

وقد أسهمت بنية التكرار اللفظي في تشكيل قسم من رسائل العصر الأموي؛ كونها تسهم في تحقيق المقصدية المراد إيصالها إلى الآخرين، من ذلك كتاب الوليد إلى الأمصار بالبيعة لابنيه الحكم وعثمان من بعده بقوله : " ... وكذلك صُنْع الله بمن فارق الطاعةَ ... وبطاعة مَن ولاَّه ... إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حَقَّه ... والطاعةُ رأسُ هذا الأمر ... وبالطاعة نال المفلحون من الله منازلهم ...وينزل بالطاعةِ والإضاعِة لها ... فألْزَموا طاعةَ الله ..." (صفوت، أحمد زكي، ١٩٣٧م، ٣٨٥/٢ -٣٨٦) ، إذ نجد القائل يكرر لفظة (الطاعة) سبع مرات لتأكيد معنى الطاعة لله وأولي الأمر من بعده ، وهو مبدأ من مبادئ الشريعة الإسلامية التي جاء بها الإسلام ، فالمرسل يؤكد الالتزام بتعاليم الإسلام قيمه في تأكيد الطاعة لأولي الأمر، ومن ثم تأكيد الطاعة بالبيعة لابنيه والنصرة لهما ، فهذه الغاية تحققت عن طريق التقانة الموسيقية المتمثلة بالتكرار فحقق بذلك المرسل الإقناع والتأثير في المتلقي.

ثالثاً: التكرار بالجملة

إن التكرار في رسائل العصر الأموي لم يكتف على الحرف واللفظة بل تعده إلى الجملة والعبارة، وهذا التكرار يستغرق حالة شعورية عند الكاتب ، فلا يكتفي بتكرار صوت ، أو كلمة داخل النص ، فيلجأ إلى تكرار الجملة لتكون أوفى بالغرض، من ذلك ما كتبه الحسين بن علي (عليه السلام) إلى معاوية "...، ولا تمحق إلا عملك فكدني ما بدا لك واتق الله يا معاوية واعلم أن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنّة،..." (صفوت، أحمد زكي، ١٩٣٧ : ٦٣/٢).فإن الكاتب في هذا النص كرر الجملة " واعلم أن الله " مرتين، وهذا التكرار ولّد تناسباً صوتياً جميلاً ، فضلا عن التناسب

الدلالي ، فأشار النص إلى التهويل وما يذكره بيوم القيامة يحاسبه الله على كل شيء، سواء أكانت صغيرة أم كبيرة نتيجة عملك في الدنيا لقتل الناس بالظنّ، وليؤكد المعنى ، ويساند التكرار جاء بالدليل القاطع عن طريق الاقتباس من القرآن الكريم، فضلاً عن تكرار "لا" مرتين و"إلا" مرتين ، وإن هذا التكرار بين الرتابة الإيقاعية في النص بينما جاء تكرار الجملة ليكشف الدلالة (عياشي، منذر، ٢٠١٥ : ٧٨).

وكتب المهلب إلى الحجاج بن يوسف: "أما بعد: فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحدر من علٍ ليس شيء يرده حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شرة في أول مخرجهم،..." (صفوت، أحمد زكي ١٩٣٧: ١٩٤/٢). فنجد تكرار الجملة "إن أهل العراق" مرتين، فهو أرادة أن يؤكد التعظيم والتحويل والتنبيه في الجملة بأنهم ليسوا ضعفاء، فهم شجعان ولم يخافوا من الموت، ولن يتراجعوا حتى يأخذوا ما أرادوه، والجملة الثانية فيها مؤكدان، فهو أراد أن يعبر لأهل العراق من القوة العظيمة في الحرب، و خرج إلى الفخر لأهل العراق، وهو بهذا التكرار أراد أن يعبر عما في داخلة مع التوكيد، فأضاف الموسيقى الجميلة من خلال تكرار الجمل " فالتكرار هو الذي يفيد تقوية النغم في الكلام .....وهو الأكثر شيوعا في الشعر والنثر "(هلال، د. ماهر مهدي، ١٩٨٠: ٢٣٩).

وكتب عبد الله بن يزيد إلى ابن صرد: "...، وينزع وهو مذموم العقل والفعل يا قومنا لا تطمعوا عدوكم في أهل بلادكم فإنكم خيارٌ كلكم،...، يا قومنا، يا قومنا إن أيدينا وأيديكم اليوم واحدة،..." (صفوت، أحمد زكي، ١٩٣٧: ١٠٧/٢). فقد تكررت (يا قومنا) ثلاث مرات في النص، من دون أن يشكل ملاً لدى السامع؛ لأنه جاء بعدها بجمل تحمل دلالة ومعنى جديدين ، وهذا التنويع والتكرار مدَّ النص بمحفزات التأثير لدى المتلقي ، كما يؤكد اجتماعهم وعدم التفرقة ، فيصبحوا ضعفاء ، وقد يطمع فيهم العدو ، وإن أصبحوا يداً واحدة في الوقوف أمام العدو ، لأنهم الرجال الأقوياء ، فإن هذا التكرار أفاد توكيد المعنى لما أحدثه من موسيقى متميزة في النص ، وإن هذا التكرار ربط بين أجزاء النص عن طريق إعادة الألفاظ وأراد به التوكيد الام " ولا يخفى ما لهذا التكرار ضمن التشكيل الصوتي من قيمة إيحائية دلالية" (عياشي ، د. منذر، ٢٠١٥ : ٧٢).

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة في رسائل العصر الأموي ، نصل إلى أهم النتائج التي أسفر عنها البحث ونوجزها بالآتي :

١. الرسالة: هي النص المكتوب أو الخطاب من المرسِل في غرض ما ، وقد كان هذا الفن في العصر الأموي أكثر استعمالاً ، وذلك لتوسع الدولة الإسلامية فأصبحت بحاجة إلى ديوان خاص، فظهر (ديوان الرسائل) في زمن عبد الملك بن مراون، وكان يكاتب أمراءه ولاة الأمصار وقادة الجيش. ... واختص كتاب له يديرون شؤونه.

٢. وتتماز الرسائل في بداية العصر الأموي بالإيجاز، وذلك لا تباعهم – طريقة الرسول محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدين، ولكن بعد منتصف القرن الأول أخذت الرسائل في الإطناب ولاسيما عند بروز كتاب مثل : عبد الحميد، الذي انمازت إحدى رسائله بالطول،إذ بلغت عدد صفحاتها تسعا وأربعين، وخصص عبد الحميد رسائل بالتحميدات وهو أول من اختص بهذا الشأن.

٣. كان للتكرار الأثر الواضح في الرسائل الأموية عن طريق إبراز موسيقى داخلية في النص، فبتكرار الألفاظ وتناوبها في السمع أسهم في خلق موسيقى خاصة في النص لها أثرها في جذب انتباه المتلقي .

٤. اشتملت رسائل العصر الأموي على التكرار بأنواعه الثلاثة : التكرار بالحرف ، والتكرار باللفظة ، والتكرار بالجملة، وهو في كل الأنواع أعطى موسيقى لدى المتلقي، فضلا عن توكيد أمر ما قصده المرسل .

٥. استطاع كُتاب الرسائل في العصر الأموي بفضل براعتهم أن يستثمروا التكرار في خلايا رسائلهم توظيفاً يدل على شعورهم بالصوت المنبعث من الحروف والألفاظ ، وبيان أثر تكراره في النص، وإحداثه النغم المنسجم مع الدلالة، مما أسهم في خلق موسيقى خاصة به .

٦. إنّ اختيار كُتاب الرسائل لظاهرة التكرار الصوتية لم يكن اعتباطا أو عن طريق الصدفة ، إنّما هي ثمرة الثقافة التي تميز بها كُتاب العصر الأموي .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- آبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز . ٢٠٠٥ . القاموس المحيط . ط٨ . مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان .
- ابن الناظم . أبي عبد الله بدر الدين بن مالك الدمشقي . ٢٠٠١ . المصباح في المعاني والبيان والبديع . ط١ . دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الأسد، ناصر الدين . ١٩٨٨. مصادر شعر الجاهلي. ط٧ . دار المعارف . مصر.
- الاسداوي ، د.عبد المجيد. ١٤٢٧هـ . أدب صدر الإسلام وتجليات وبناؤه التشكيلي ، دار النشر ، مكتبة المتنبي ، المملكة السعودية ، دماء.

- أنيس ، د. إبراهيم .(د.ت) . الأصوات اللغوية . د.ط . مكتبة نهضة مصر. مصر .
- الجرجاني ، علي بن محمد بن علي .١٤٠٥. تعريفات . دار الكتاب العربي.
- جعفر، لأبي الفرج قدامة.١٩٤١. نقد النثر . د.ط ، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق. القاهرة.
- الجندي، علي. ١٩٩١م. في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة دار التراث، مطبعة دار التراث الأول.
- حسين، طه . ١٩٦٠م . من حديث الشعر والنثر ، دار المعارف ، مصر .
- الحضرمي . عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. ١٩٨٤ . مقدمة ابن خلدون. دار القلم، بيروت. سوريا.
- الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني .(د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس، (د.ط) .الدار الهداية .
- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد. (١٩٩٨) . أساس البلاغة . ط١. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- الزيدي ، د.كاصد ياسر. ١٩٨٧. فقه اللغة العربية . مكتبة آفاق، بغداد .العراق.
- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين . (١٩٧٤). الإتقان في علوم القرآن . د.ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب . مصر .
- الشاذلي، هشام محمد. د.ت. لسان العرب، ابن منظور . د.ط . دار المعارف، القاهرة. مصر.
- الشايب ، د. أحمد .(١٩٩١) . الأسلوب _ دراسة بلاغية تحليلية الأصول الأساليب الأدبية _ . ط٨ . مكتبة النهضة المصرية للنشر والتوزيع. مصر .
- الصفار، د.ابتسام مرهون .(٢٠١١) . الأمالي في الأدب الإسلامي . ط١ . مطبعة بيروت الحديثة . بيروت .
- صفوت ، أحمد زكي .١٩٣٧. جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، العصر الأموي. المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- الضامن ، حاتم صالح. ١٩٩٠. فقه اللغة . د.ط . بغداد ، العراق.
- الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم ، د.ت . المفضليات . ط٦ . دار المعارف، القاهرة . مصر .
- ضيف ، د.شوقي .(د.ت) . تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي . (د.ط) . دار المعارف.
- ضيف ، د.شوقي .(د.ت) . تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي . ط٩ . دار المعارف.
- ضيف ، شوقي . الفن ومذاهبه في النثر العربي .ط١٣ . دار المعارف.
- الطرابلسي ، محمد الهادي . ١٩٨٠. خصائص الأسلوب في الشوقيات . د.ط . منشورات الجامعة التونسية، طبع بالمطبعة الرسمية الجمهورية التونسية. تونس .
- عتيق ، عبد العزيز .(١٩٧٦) . الأدب العربي في الأندلس . ط٢. دار النهضة. بيروت. لبنان.
- العدواني ، عبد العظيم بن الواحد ابن ظافر بن أبي الإصبع. (د.ت) . تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. (د.ط) . الجمهورية العربية المتحدة، مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- عياشي ، منذر .(٢٠١٥) . الأسلوبية وتحليل الخطاب . ط١. دار نينوى للنشر والتوزيع. سورية، دمشق .
- الفارابي ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري .١٩٨٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ط٤ . دار العلمين، بيروت. لبنان .
- فروخ ، عمر . (١٩٨١) . تاريخ الأدب العربي. ط٤ . دار العلم للملايين، بيروت. لبنان .
- القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد الغزاوي . ١٩٨١. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (ت٨٢١ هـ). د.ط . وزارة الثقافة، دمشق. سوريا .
- القيسي ، د. فائز عبد النبي.(١٩٨٩) . أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري . ط١ . دار البشير للتوزيع والنشر .
- معصوم ، علي صدر الدين .(١٩٦٨) . أنوار الربيع في أنواع البديع . ط١. مكتبة العرفان ، و مطبعة النعمان. النجف الأشرف. العراق .
- المقدسي ، أنيس .١٩٦٠ . تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي. ط١ . دار العلم للملايين، بيروت. لبنان .
- الملائكة ، نازك صادق . قضايا الشعر المعاصر. ط٥. دار العلم للملايين. بيروت، لبنان.
- هلال ، د. ماهر مهدي . ١٩٨٠ . جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي عند العرب . د.ط . دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام .
- نصار ، د. حسين . ١٩٦٦ ، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ،.

الرسائل والاطاريح

- حسن ، عادل كشكول، (٢٠١٨) ." رسائل في العصر الإسلامي - دراسة أسلوبية – "، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العراق .
- ضاحي ، كوثر فريح ، (٢٠١٦) ." مصباح البلاغة المعروف بمستدركات نهج البلاغة للميرجهاني- دراسة أسلوبية- " ، أطروحة دكتوراه ، الآداب ، الجامعة المستنصرية ، العراق.
- عمران ، عبد نور داود ، (٢٠٠٨) ." البنية الإيقاعية في شعر الجواهري "، أطروحة دكتوراه ، الآداب ، ، جامعة الكوفة، العراق .

الموقع الالكتروني

- www.ektab.com

References

- Abadi, MajdAldeen Abu Tahir Mohammed Bin Jacob Alfairoz. 2005. AlkamooseAlmuheet. P. 8. MuassisatAkrissalaLiltiba'aWalnashir, Beirut, Lebanon.
- Alassed, Nassir Aldeen. 1988. MasadirShiarAljahili. P7. Dar Ama'arif. Egypt.
- Aldhabi, almufadhal bin muhammed bin ya'ala bin salim, d.t.almufadhiliyat. P6. Dar alma'arif , qairo.egypt.
- Aldhamin, hatimalsalih. 1990. Fikh allugha.d.t. Baghdad, Iraq.
- Alfarabi, abo naserisma'eal bin hamadaljawhari. 1987. Alsahahtajallughawasahahalarabia. P4. Dar al'alamain, Beirut, Lebanon.

- Alhadhrami, abdulrahman bin muhammed bin khaldoon. 1984. Mukadamatibnkhaldoon. Dar alkalam, Beirut. Sirya.
- Alidwani, abduladheem bin alwahidibndhafir bin abialisbi'a. (n.d.). tahreeraltahbeer fi sina'atalshi'irwalnathrwabayanI'ajazalquran. D.t.aljumhoriyaalarabiaalmutahida, majlisala'alalilshiunalislamiya, lijnatihya'aalturathalislami.
- Aljurjani, ali bin muhammed bin ali. 1405. Ta'arifat. Dar alkitabalarabi.
- Alkaisi, dr. faezabdulnabi. (1989). Adabalrasael fi alondulis fi alkurnalkhamisalhijri. P1. Dar albasheerliltawzee'awalnashr.
- Alkalkashandi, ahmed bin ali bin ahmedalghazawi. 1981. Subhal'asha fi sina'atalinsha, (821 b.c.). d.t. ministry of culture, Damascus. Syria.
- Almakdasi, anees. 1960. Tatawiralasaleebalnathriya fi aladabal'arabi. P1. Dar al'ilmlilmalayeen, Beirut. Lebanon.
- Almalaeka, nazicsadiq. Kadhayaalsh'iralmu'asir. P5. Dar al'ilmlilmalayeen, Beirut. Lebanon.
- Alsafar, dr. ibtissammarhon. (2011). Alamali fi aladab alislami.p1. matba'at Beirut alhadeetha. Beirut.
- Alshathili, hishammuhammed .n.d.lissanalarab, ibn mandhoor.d.t. daralma'arif, qairo. Egypt.
- Alshayib, dr. ahmed. (1991). Alisloob_dirassabalaghiya . p8. Maktabatalnahdhaalmissriyalilnashir. Egypt.
- Alsiyoti, abdulrahman bin abibakrjalalaldeen. (1974). Alitqan fi iloomalquran. D.t.alhayaaalmisriyalilkitab. Egypt.
- Altarabulsi, muhammedalhadi. 1980. Khasaisalisloob fi alshawqiyat. D.t.. manshorataljami'aaltunisiya, almatba'aalrasmiyaaltunissiya. Tunisia.
- Alzaidi, dr. gassed yassir. 1987. Fikhallughaalarabia. Maktabatafaq, Baghdad. Iraq.
- Alzamakhshari, abualkassimmahmood bin omer bin ahmed. (1998). Assasalbalagha. P 1. Dar alkutbalilmia.Beirut. Lebanon.
- Alzubaidi, Muhammed bin muhammed bin abdulrazaqalhussaini. (n.d.). tajalaroos min jawahiralkamoose, d.t.aldaralhidaya.
- Anees, Dr. Ibraheem. (n.d.). AlaswatAllughawya. D.T. MaktabatNahdhatMisr. Egypt.
- Ateeq, abdulazeez. (1976). Aladabalarabi fi alandulis.p2.dar alnahdha. Beirut. Lebanon.
- Ayashi, munthir. (2015). Alisloobiyawatahleelalkhitab. P1. Dar naynawalilnashi. Syria, Damascus.
- Dhaif, dr. shawqi (n.d.). tareekaladabalarabi, alassiralislami. P9. Dar alma'arif.
- Dhaif, dr. shawqi (n.d.). tareekaladabalarabi, alassiraljahili. D.t. Dar alma'arif.
- Dhaif, shawqi. Alfanwamathahibaho fi alnathralarabi. P 13. Dar alma'arif.
- Farokh, omer. (1981). Tareekhaladabal'arabi. P4. Dar al'ilmlilmalayeen, Beirut. Lebanon.
- Hillal, Dr. Mahir Mahdi. 1980. JarasAlalfadhwdlalatiha fi albahithalbalaghiindalarab. D.t.daralrasheedlilnashir, ministry of culture and media.
- Holy Quran

- IbnAlnadhim. Abi Abdullah badrAldeen Bin Malik Aldumashki. 2001. Almusbah fi Alma'aniWalbayanWalbadee'a. P1. Dar AlkutbAlilmia, Beirut, Lebanon.
- Ja'afar, abialfarajkudama. 1941. Nakdalnathr. D.t.almatba'aalameeria in bulak. Qairo.
- Ma'asoom, alisadraldeen. (1968). Anwar alrabee'a fi inwa'aalbadee'a. p1. Maktabatalirfanwamatba'atalnu'aman. Alnajafalashraf. Iraq.
- Safwat, ahmedzaki. 1937. Jamharatrassailalarab fi alissoralarabiaalzahira, alassiralamawi. Almaktabaalilmia. Beirut, Lebanon.

Theses and dissertations

- Dhahi, kawtherfrayih, (2006). " misbahalbalaghaalma'aroofbimustadracatnahjalbalahalilmerjahani-dirassaislubiya-" phd, college of arts, almustansiriya university, Iraq.
- Hassan, adilkashcool, (2018). " rasael fi al'asiralislami- dirassaislubiya." MA thesis, college of arts, university of Baghdad, Iraq.
- Omran, abdnoordawood, (2008). " albunyaalika'iya fi shi'raljawahiri", phd. College of arts, university of kufa, Iraq.

Websites:

www.wikibedia.ektab.com

Repetition in the Letters of the Umayyad Era in the Book of JamharatRassael Al Arab in the Modern Arab Ages of Ahmed ZakiSafwat

By

Mohammed Mahmood Alawi (MA)/College of Art

Supervised by

Asst. Prof. SajaJassim Mohammed/ College of Art/ University of Baghdad

Abstract

Prose, in general, and the art of writing letters, in particular, have been developed by the Holy Quran and the Islamic religion. The learning of writing and reading and the transformation from speaking into writing have also been improved similarly. As such, prose has become equal to poetry or even better. So, writing has been a profession and a part of the state affairs. The caliphs themselves started addressing princes, ministers, army leaders, and likewise. Therefore the letters played a vital role at that time. It is a written text from the sender to the receiver about a certain topic. These letters have been characterized by eloquence and dexterity and by cohesion and coherence.

This study has been chosen because it has never been done before.

Keywords: Repetition, Letter, Ahmed ZakiSafwat